ضياء علوم الدين

الشيخ عبد الله بن فودى

USMANU DANFODIYO UNIVERSITY, SOKOTO
CENTRE FOR ISLAMIC STUDIES
P.M.B. 2346,SOKOTO-NIGERIA

VICE CHANCELLOR: Professor R.A. Shehu, B.Sc (UNISOK), Ph.D (Essex), OON
DIRECTOR: Professor Abdullahi Muhammad Sifawa, B.A. Ed, M.A., Ph.D (Sokoto)

Our Ref: UDUS/CIS/DBP/011
Your Ref:
Date:: 17/9/1434 AH
26/7/2013
Date: CE

جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا

مركز الدراسات الإسلامية

التاريخ ١٤٢٤/٨/١٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة التصحيح

لجنة التصحيح والتحقيق والترجمة تقرر بأن الكتاب: **"ضياء علوم الدين"**

"تأليف: **الشيخ عبد الله بن فودى.**

نسخة مصححة، قام بتصحيحها: **الأستاذ الدكتور سليمان موسى.**

وأجازت اللجنة لدار اقرأ للطباعة والتوزيع بطبعه ونشره، والله ولي التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الأستاذ الدكتور أبوبكر علي غوندو

رئيس اللجنة.

التوقيع:

E-mail: cisudus@yahoo.com GSM: 08032347686, 08184221392, 08067501725

بسم الله الرحمن الرحيم.

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: هذا كتاب ضياء علوم الدين وهي **قسمان: علم معاملة، وعلم مكاشفة.**

القسم الأول: علم المعاملة ومنه فرض عين، وفرض كفاية. وفرض العين منها ثلاثة أقسام: اعتقاد، وعمل، وترك، فإذا بلغ الإنسان ضحوة أو أسلم فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا معبود بحق إلا الله، أرسل إلينا محمدا -صلى الله عليه وسلم- فكل ما جاء به حق، فمن أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار، فإن عاش إلى وقت الظهر وجب عليه تعلم الطهارة والصلاة ومالا تصح إلا به كالفاتحة وكذا بقية الصلوات، وإن عاش إلى رمضان وجب عليه تعلم الصوم وهو أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس، وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والجماع، وإن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال، فإن كان له مال لزمه تعلم ما يجب من الزكاة عليه فإن لم يكن له إلا الإبل لم يلزمه تعلم زكاة الغنم مثلا، وكذا في سائر الأصناف، فإذا دخل أشهر الحج وكان مستطيعا له عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج، ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله كما يأتـــي إن شاء الله، وكذلك التدريج في علم سائر الأعمال التي هي فرض عين عليه بتعينه عليه إذ لا تـــجوز للمكلف أن يفعل فعلا حتى يعلم حكم الله فيه، ويسأل العلماء العاملين بعلمهم المتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما الترك فيجب عليه بحسب ما يقتضيه حاله فإن كان ملابسا به يجب تنبيهه عليه إن لم يجز كأن يكون عند البلوغ أو الإسلام لابسا للحرير أو الذهب أو الفضة أو جالسا في مكان مغصوب أو ناظرا إلى محرم أو مستمعا للحرام فيجب تعلميه ذلك واجتنابه، وكذا ما كان بصدده كمن في بلد غلب على أهله أكل الحرام كالميتة والمكس والغصوبات فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه، وما وجب تعليميه وجب عليه تعلمه.

وأما الاعتقاد فيجب عليه بعد اعتقاد معنى الشهادتين علم ما يخطر في قلبه مما يزيل ذلك فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة وجب عليه تعلم ما يزيل الشك وكذا في جميع ما يخطر، وكذا يجب عليه أن يتعلم مالا ينفك بشر عنه من الصفات المذمومة كالكبر والعجب ونـــحوهما مما يأتي إن شاء الله. وأما فرض الكفاية فهو ما وراء هذا من العلوم الشرعية، والله أعلم.

فصل

في معاني التي تضمنتها كلمتا الشهادة جملة

وهي أربعة معان: إثبات ذات الله، وإثبات صفاته، وإثبات أفعاله، وإثبات صدق الرسول. وفي معرفة الذات العلم بوجود الله وقدمه وبقائه ومخالفته للخلق ليس بجوهر ولا بجسم ولا عرض وليس في جهة ولا مكان وأنه واحد، وأنه مرئي في الآخرة. وفي معرفة الصفات العلم بكونه حيا، عالما، قادرا، مريدا، سميعا، بصيرا، متكلما، منـــزها عن كل نقص، قديم العلم والكلام والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر وجميع الصفات. وفي معرفة الأفعال العلم بأنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله والخلق وأفعالهم كل ذلك من خلق الله لا تأثير لشيء إلا الله وإنه متفضل على الخلق في جميع ما يفعل لهم، لا يجب عليه شيء، وأن نبوة الأنبياء عليهم السلام ثبتت بالمعجزات وهي من أفعال الله الدالة على تصديقه إياهم.

وفي معرفة صدق الرسول العلم بصدق جميع ما جاء به من السمعيات كعذاب القبر وسؤال منكر ونكير فيه والنشر لعين هذه الأبدان المدفونة والحشر لجميع الخلق في مكان واحد، والميزان والصراط وأخذ الكتب والجنة والنار، وأحكام الإمامة، وفضل الصحابة رضوان الله عليهم.

خاتمة

ينبغي للمتعلم أن يطهر نفسه من الرذائل كالغضب واتباع الشهوة والحقد والحسد والكبر مما يأتي، وأن يقلل أشغال الدنيا وأن لا يتكبر على العلم وأن يستعين عليه بالعمل به وأن يقصد بعلمه امتثال الأوامر واجتناب النواهي والقرب من الله، لا الرياسة ولاالمال وينبغي للمتعلم أن يعلم لوجه الله اقتداء بصاحب الشرع لا لغرض من الدنيا كالمال والجاه وأن يكون مشفقا على المتعلمين ناصحا لهم زاجرا لهم عن سوء الأخلاق يعلم كلا على قدر فهمه بـــما يليق به عاملا بعلمه عادلا بينهم، لا يظهر الميل إلى واحد منهم إلا لسبب شرعي محقرا للدنيا كثير العناية بعلم الآخرة لا يخالف فعله قوله غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والملبس والمسكن منقبضا عن السلاطين وأعوانهم ما وجد سبيلا إلى الفرار عنهم، وأن لا يتسارع إلى الفتوى ونـــحوها ما وجد إلى الخلاص سبيلا، وأن يكون كثير المراقبة للقلب والمجاهدة، قوي اليقين في التوحيد وضمان الله للرزق حزينا مطرقا خاشعا صامتا معتمدا في علومه على بصير له شديد التوقي من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فهذه صفات علماء الآخرة فكن أحد رجلين إما متصفا بها أو معترفا بالتقصير، وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك فتهلك مع الهالكين، عصمنا الله بمنه وكرمه.

فصل

في الطهارة وأسرارها ومراتبها

ومراتب الطهارة أربع:

الأولى: تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث.

الثانية: تطهير الجوارح عن الجرائم.

الثالثة: تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة.

الرابعة: تطهير السر عما سوى الله، فكلما قمت إلى تطهير الظاهر تذكر تطهير الجوارح عن الإثم وتطهير القلب عن الرزائل، وتطهير السر عن غير الله ما استطعت. وطهارة الحدث هو الوضوء والغسل والتيمم، وكيفية الوضوء أن يغسل المتوضئ يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما في الإناء ناويا رفع الحدث أو إستباحة الصلاة ثم يديم النية إلى غسل الوجه، ثم يأخذ غرفة بيمينه فيمضمض بها ثلاثا ويبالغ إن لم يكن صائما، ثم يأخذ غرفة يستنشق ثلاثا ويستنثر، ثم يغترف غرفة فيغسل وجهه من الجبهة إلى منتهى الذقن، ومن الأذن إلى الأذن بغسل لحية خفيفة ثلاثا مع غسل الوترة، ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا بتخليل أصابعهما، ثم يـــمسح رأسه جميعا يلصق رؤوس أصابع اليمنى برؤوس أصابع اليسرى ويضعهما على مقدم الرأس، ويـــمرهما إلى القفا ثم يردهما إلى المقدم الرأس ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما، ثم يغسل رجليه يبدأ باليمنى فاليسرى، مخللا أصابعهما من أسفل، يبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ثم يرفع رأسه إلى السماء ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين.

وكيفية الغسل وهي أن يضع الإناء عن يـــمينه ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنج ويزيل النجاسة عن بدنه إن كانت ثم يتوضأ وضوئه للصلاة ثم يصب الماء على رأسه غاسلا ثلاثا ثم شقه الأيـــمن ثم الأيسر مدلكا في كل ذلك يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويدلك لحيته

ليصل الماء تحتها ولو كثيفا ويتعهد معاطف البدن متقيا عن مس الذكر فإن مسه أعاد الوضوء فقط.

كيفية التيمم فمن تعذر عليه استعمال الماء لفقده أو لمانع الوصول إليه كسبع أو لإحتياجه لعطش أو لجراح به أو مرض يخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا أو تأخر برء فليصبر حتى يدخل الوقت ثم يقصد صعيدا طاهرا يضع عليه كفيه ضاما بين أصابعه، ويـــمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ناويا استباحة الصلاة بذلك ويكفي غالب الظن في الاستيعاب ثم يضعهما ثانية ويـــمسح اليمنى من اليدين باليسرى إلى المرفق ويخلل أصابعه.

وأما طهارة الخبث فهي إزالة النجاسة عن ثوب المصلي وبدنه ومكانه الذي تـــمس أعضاؤه إذا ذكر وقدر والله أعلم.

خاتمة

ينبغي التنظف من الفضلات الظاهرة كإزالة الأوساخ بالماء والشعث بالدهن وترجيل الشعر إزالة ما يجتمع على الأسنان وأطراف اللسان من القلح ويزيله السواك مع المضمضة، وقص الشارب ونتف الإبط وقلم الأظفار وحلق العانة ونحو ذلك، والله أعلم.

فصل

في الصلاة وأسرارها

واعلم (أن الصلاة هي عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين)، ومن إقامتها الأذان لها، وإتـــمام أركانها، وإيقاعها في الوقت، وفي الجماعة، وفي المسجد، ورعاية الخشوع فيها، فمن فرغ من الوضوء وطهارة الخبث وستر العورة فليقم إلى الصلاة منتصبا متوجها إلى القبلة مزاوحا بين قدميه لا يضمهما متذكرا أنه قائم بين يدي الله تعالى يريد مناجاته فيحضر قلبه، وينوي أداء الفريضة المعينة يستديم نيته إلى آخر التكبير يقول الله أكبر رافعا يديه حذو منكبيه ثم يقرأ الفاتحة بتمام شداتها، وحروفها، ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء، ويقول آمين في آخرها يجهر القراءة في الصبح والمغرب والعشاء، ويسر في غيرها ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ثم يركع بالتكبير إلى إنتهاء الركوع يضع راحتيه على ركبتيه ناصبا لهما ويسوي ظهره جافيا مرفقيه على جنبيه إن كان رجلا. وتنضم المرأة فيث جميع صلاتها قائلا سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثلا ثم يرفع رأسه من الركوع بعد الطمانينة قائلا سمع الله لمن حمده فيطمئن قائلا اللهم ربنا ولك الحمد إن كان فذا أو مأموما ثم يهوي إلى السجود بتكبير فيضع ركبتيه على الأرض وجبهته وأنفه وكفيه مكشوفات على الأرض ثم يقول سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاث فيطمئن معتدلا ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا على رجله اليسرى ناصبا قدم اليمنى واضعا يديه على فخذيه، والأصابع منشورة ثم يأتي بالسجدة الثانية كذلك، ثم يصلي الركعة الثانية مثل الأولى ويتشهد ويصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يفعل في بقية الصلاة كما ذكرنا ثم يتشهد ثم يسلم بقوله السلارم عليكم يجزم السلام ولا يـــمده وتـــمييز فرائض الصلاة وسننها وفضائلها مذكور في كتب الفقه فمقصودنا ما لا بد منه. ومن كان إماما ينبغي أن لا يتقدم على قوم يكرهون إمامته، ويراع أول الأوقات ويؤم لوجه الله لأداء أمانة الله ويسوي الصفوف ثم يكبر ويرفع صوته بتكبيرة الإحرام، وغيرها ليسمع الناس بنفسه

ويستغني عن المسمع ويخفف صلاته، ويتم أركانها رفقا لمن وراءها، وكل ذلك في الفرائض، والنوافل وهي رواتب الصلوات الخمس ركعتا الفجر للصبح وست للظهر أربع قبلها وإثنان بعدها، وأربع للعصر قبلها وركعتان بعد المغرب وثلاث عشر بعد العشاء، آخرها الوتر، وإحياء ما بين العشاءين مطلوب وكذا التهجد والضحى أقلها أربع وأكثرها ثمان ركعات وصلاة العيدين وكسوف الشمس وخسوف القمر والاستسقاء والجنائز وتحية المسجد وغير ذلك.

خاتمة

فيما تتم به حياة الصلاة

وهو حضور القلب فيما هو به، ثم تفهم معناه، ثم تعظيم المخاطب فيها، ثم الهيبة له، ثم رجاء مبرته، ثم حياؤه استشعارا للتقصير مع توهم الذنب، وكل ذلك مع دفع الخواطر المانعة من الحضور ما استطاع.

فصل

في الزكاة وأسرارها

وهي أحد أركان الإسلام وأخت الصلاة تـــجب على كل حر مسلم، وإن صبيا ومجنونا في الأنعام الإبل والبقر والغنم بكمال النصاب والملك والحول، لكن حول النتاجي حول الأمهات في خمس من الإبل ضائنة جذع أو جذعة ذو سنة أو ثنية من المعز دخلت في الثانية إلى خمس وعشرين ففيها بنت محاض دخلت في الثانية فإن لم تكن فابن لبون دخل في الثالثة إلى ست وثلاثين ففيها بنت لبون، إلى ست وأربعين ففيها حقة دخلت في الرابعة، إلى إحدى وستين ففيها جذعة دخلت في الخامسة، إلى ست وسبعين ففيها بنتا لبون إلى إحدى وتسعين ففيها حقتان إلى مائة وإحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون أو حقتان، فإذا صارت مائة وثلاثين ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون. وأما البقر ففي ثلاثين منها تبيع دخل في الثانية إلى أربعين فمسنة دخلت في الرابعة إلى ستين فتبيعان، ثم بعد ذلك في كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع. وأما الغنم ففي أربعين منها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز إلى مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربع مائة ففيها أربع، ثم في كل مائة شاة. وزكاة الخليطين كزكاة المالك الواحد إن ملك كل نصابا. وفي المعشرات وهي الحبوب والتمر والزبيب فيجب فيها العشر إن بلغت خمسة أوسق، والوسق ستون صاعا، وإن سقيت بآلة فنصف العشر بعد الإفراك في الحب والطيب في التمر والزبيب منقا وفي الذهب والفضة. ونصاب الذهب عشرون دينارا، ونصاب الفضة مائتا درهم، وفي كل ربع العشر، وما زاد فبحسابه وتـــجب في التبر والحلى المحرم لا المباح. وفي الركاز وهو دفن الجاهلية إن كان عينا فعلى واجده الخمس ولا يعتبر النصاب، وفي المعدن للذهب والفضة ففيه ربع العشر بعد التصفية، وكمال النصاب.

وفي زكاة الفطر وهي واجبة على كل مسلم فضل عن قوته وقوت عياله يوم الفطر وليلته صاعا من غالب قوت البلد ويجب أن ينوي المزكي بقلبه أداء الفرض وأن لا يؤخرها

بعد الوقت وأن لا ينقلها إلى بلد آخر إن كان ببلدها مستحق إلا أن يكون في غيره أحوج فينقل إليهم بفضلها بالنظر.

خاتـــمة: ينبغي للمزكي أن يسر أداء زكاته إن أمن التهمة وخاف الرياء وأن يظهرها إن كان الإظهار يرغب الناس في الاقتداء وأن لا يفسدها بالمن والأذى وأن يستصغر في قلبه ما أعطى خوفا للعجب وأن يعطيها من أجود ماله وأحبه إليه يطلب تقيا معرضا عن الدنيا متجردا للآخرة صادقا في تقواه وعلمه لا يبث شكواه معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب قريبا له من ذوي الأرحام بشرط أن يكون من الأصناف الثمانية الفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل. وينبغي أن لا يخلو من صدقة التطوع ما استطاع من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا؛ ليكون يوم القيامة في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس، والله أعلم.

فصل

في الصوم وأسراره

وواجباته ثلاثة الأول: مراقبة أول الشهر حتى يثبت برؤية الهلال أو استكمال شعبان ثلاثين، الثاني: نية صوم جميعه حال كون النية مبيتة جازمة فلا تصح نهارا، والنية المترددة باطلة، الثالث: ترك إيصال شيء إلى الجوف بالأكل والشرب والسعوط والحقنة وترك الجماع وإخراج المني بأي وجه وإخراج القيء ويستحب فيه تعجيل الفطر وتأخير السحور وتكثير الجود وقراءة القرآن وكف اللسان عن المباح، وكف القلب عن الإفكار الدنيوية، وكل ما يشغل عن ذكر الله، وعدم تكثير الحلال عند الإفطار.

خاتـــمة، يتأكد الصوم في التسعة الأول من ذي الحجة وأحرى آخرها، وفي العشرة الأول من المحرم وأحرى العاشر وصوم ثلاثة من كل شهر ويوم الإثنين والخميس والله أعلم.

فصل

في الحج والعمرة وأسرارهما

والحج من أركان الإسلام وشرط صحته الوقت والإسلام فيصح من الصبي ويحرم بنفسه إن كان مميزا ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ولا يسقط حجة الإسلام، ووقته شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ووقت العمرة جميع السنة وشروط وقوعه عن حجة الإسلام لإسلام والحرية والبلوغ والعقل، والوقت ويزاد للزومه الاستطاعة. وأركانه التي لا يصح بدونها، ولا يبجر تركها بالهدي أربعة: الأول الإحرام، فمن تركه فاته الحج، ولا يترب بتركه شيء، الثاني السعي بين الصفا والمروة، والثالث طواف الإفاضة، فمن تركهما لا يفوته الحج بذلك لكن لا يتحلل من إحرامه إلا بفعل منهما ولو سار إلى أقصى المشرق أو المغرب

فإنه يرجع إلى مكة ليفعله، والرابع الوقوف بعرفة ليلة الأضحى، فمن فاته فاته الحج، لكن يؤمن بالتحلل بأفعال العمرة والقضاء في قابل.

وأما الواجبات التي يجبرها الهدي فقد أشار إليه ابن عاشر في منظومته بقوله:

والواجبات غير الأركان بدم * قد جبرت منها طواف من قدم
ووصله بالسعي مشي فيهما * وركعتا الطواف أن تحتما
نزول مزدلف في رجوعنا * مبيت ليلات ثلاث بمنا
إحرام ميقات فذو الحليفة * لطيب للشام ومصر الجحفة
قرن لنجد ذات عرق للعراق * يلملم اليمن آتيها وفاق
تجرد من المخيط تلبيه * والحلق رمي الجمار توفيه

أما محظورات الإحرام فقد بينها ابن عاشر بقوله:

ومنع الإحرام صدي البر * في قتله الجزاء كالفار
وعقرب مع الحدا كلب عقور * وحية مع الغراب إذ تجور
ومنع المحيط بالعضو ولو * بنسج أو عقد كحاتم حكوا
والستر للوجه أو الرأس بما * يعد ساترا ولكن إنما
تمنع الأنثى لبس قفاز كذا * ستر لوجه لا لستر أخذا
ومنع الطيب ودهنا وضرر * قمل والقا وسخ ظفر شعر
ويفتدي بفعل بعض ما ذكر * من المحيط لهنا وإن عذر
ومنع النساء وأفسد الجماع * إلى الإفاضة يبقى الإمتناع
كالصيد ثم باقي ما قد منعا * بالجمرة الأولى يحل فاسمعا

وأما صفة الحج بينها بقوله:

وإن ترد ترتيب حجك اسمعا * بيانه والذهن منك استجمعا
إن جئت رابع تنظف واغتسل * كواجب وبالشروع يتصل
والبس ردا وأزرة نعلين * واستصحب الهدي وركعتين
بالكافرون ثم الإخلاص هما * فإن ركبت أو مشيت أحرما
بنية تصحب قولا وعمل * كمشي أو تلبية مما اتصل
وجددها كلما تجددت * حال وإن صليت ثم إن دنت
مكة فاغتسل بذي طوى بلا * دلك ومن كدا الثنية أدخلا
إذا وصلت للبيوت فاتركا * تلبية وكل شعل واسلكا
للبيت من باب السلام واستلم * الحجر الأسود كبر وأتم
سبعة أطواف به وقد يسر * وكبرن مقبلا ذاك الحجر
متن تحاذيه كذا اليماني * لكن ذا باليد خذ بياني
إن لم تصل للحجر المس باليد * وضع على الفم وكبر تقتدي
وأرمل ثلاثا وامش بعد أربعا * خلف المقام ركعتين أوقعا
وادع بما شئت لدى الملتزم * والحجر الأسود بعد استلم
واخرج إلى الصفا فقف مستقبلا * عليه ثم كبرن مهللا
واسع لمروة فقف مثل الصفا * وخب في بطن المسيل ذا اقتفا
أربع وقفات بكل منهما * تقف والأشواط سبعا تمما
وادع بما شئت بسعي وطواف * وبالصفا ومروة مع اعتراف
ويجب الطهران والستر على * من طاف ندبها بسعي اجتلا
وعد فلب لمصلى عرفه * وخطبة السابع تأتي للصفة
وثامن الشهر اخرجن لمنى * بعرفات تاسعا نزولنا
واغتسلن قر بالزوال واحضرا * الخطبتين واجمعن وقصرا
ظهريك ثم الجبل اصعد راكبا * على وضوء ثم كن مواظبا

على الدعا مهللا مبتهلا * مصليا على النبي مستقبلا
هنيئة بعد غروبها تقف * وانفر لمزدلفة إذ تنصرف
في المازمين العلمين نكب * واقصر بها واجمع عشا لمغرب
واخطط وبت بها واحي ليلتك * وصل صبحا وغلس رحلتك
قف وادع بالمشعر الأسفار * واسرعن في بطن واد النار
وسر كما تكون للعقبة * فارم لديها بحجار سبعه
من أسفل تساق ومن مزدلفة * كالفول وانحر هديا إن بعرفه
أوقفته واحلق وسر للبيت * فطف وصل مثل ذاك النعت
وارجع فصل الظهر في منى وبت * ءاثر زوال غده إرم لا تفت
ثلاث جمرات بسبع حصيات * لكل جمرة وقف للدعوات
طويلا إثر الأولين أخرا * عقبة في كل رمي كبرا
وافعل كذاك ثالث النحر وزد * إن شئت رابعا وتم ما قصد

وبين ابن عاشر العمرة مع زيارة النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله:

وسنة العمرة فافعلها كما * حج وفي التنعيم ندبا احرما
وإثر سعيك احلقن أو قصرا * تحل منها والطواف كثيرا
ما دمت في مكة وارع الحرمه * لجانب البيت وزد في الخدمه
ولازم الصف فإن عزمتا * على الخروج طف كما علمتا
وسر لقبر المصطفى بأدب * ونية تجب لكل مطلب
سلم عليه ثم زد للصديق * ثم إلى عمر نلت التوفيق
واعلم بأن ذا المقام يستجاب * فيه الدعا فلا تمل من طلاب
وسل شفاعة وختما حسنا * وعجل الأوبة إذا نلت المنا

خاتمة

ويجب أن تكون نفقة الحاج وغيره حلالا طيبا وأن يرفق دابته ما استطاع ويحتسب ما أصابه في طريق الحج لأنه يعدل الشهادة في سبيل الله. وينبغي أن يتذكر من كون البيت الحرام لا وصول إليه إلا بترك المألوف والمآلف، وأن لا وصول إلى الله إلا بالتنـــزه عن الشهوات ويتذكر من مفارقة الأهل والوطن إلى البيت مفارقة الدنيا إلى الله، ومن قطع عقبات البرار والمخاوف والمعاطش عقبات الآخرة ما بين خروج الروح إلى الوصول إلى النار أو إلى الجنة، وأمثال ذلك فمن نور الله بصيرته فالإشارة تكفيه.

فصل

في قراءة القرآن وفي الأذكار والدعوات وفي الأوراد وأسرار ذلك

وينبغي أن يكون القارئ على وضوء مستقبل القبلة مطرقا رأسه يجلس جلوسه في الصلاة، وفي المسجد أفضل، مرتلا متفكرا، باكيا بسبب إحضار القلب بتأمل ما فيه من الوعيد والعهود مع تقصير العبد في أوامره وزواجره، وأن يرعي حق الآيات فإذا مرّ بآية سجد ودعا ما يليق بالآية التي قرأها وأن يحلي باطنه **بعشرة آداب**: بفهم أصل الكلام، ثم التعظيم، ثم حضور القلب، ثم التدبر، ثم التفهم، ثم التخلي عن موانع الفهم، كإصرار على ذنب، وهوى مطاع، ثم التخصيص بأن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فيعمل بمقتضى الأمر والنهي والوعد والوعيد، وقصص الأولين والأنبياء، بأن يعتبر بهم ويقتدي بالأنبياء والصالحين في صبرهم على الأذى وثباتهم في الدين لإنتظار نصر الله، ثم التأثير بالخوف والخشية، والرجاء، ثم الترقي من الاستماع إلى الشهود، والمناجات، ثم التبرء من الحول والقوة والإلتفات إلى النفس، والله يخص في ذلك من شاء بـــما شاء. وينبغي أن يختمه كل جمعة أو شهر أو نصف سنة، وما وراء ذلك تساهل.

وأما الأذكار فمنها: التهليل قال عليه السلام: (**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه**)، ومنها التسبيح والتحميد والتكبير والصلاة والاستغفار والباقيات الصالحات هي لا إله إلا الله، سبحان الله والحمد لله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وفي الكل أحاديث صحيحة لا تحصى.

وأما الدعوات فكثيرة منها:

- **دعاء فاطمة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

(يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله).

- **ودعاء عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

(اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد –صلى الله عليه وسلم– وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد –صلى الله عليه وسلم– وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين).

- **ودعاء أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

(اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك، وبكلام موسى وإنجيل عيسى وزبور داوود وفرقان محمد – صلى الله عليه وسلم– وكل وحي أوحيته وقضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته، وباسمك الذي أنزلته على موسى عليه السلام وأسألك باسمك الذي ثبت به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت، وأسألك باسمك الذي وضعته على السماوات فاستقلت، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك، وأسألك باسمك الطهور الطاهر الأحد

الصمد الوتر المنـــزل في كتابك من لدنك، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار، وعلى الليل فأظلم، وبعظمتك وكبريائك، وبنور وجهك – أن ترزقني القرآن والعلم، وأن تخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري، وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين).

- **ودعاء أبي الدرداء رضي الله عنه قال:**

سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

(من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وهي: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بسم الله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)، وعنه: (من قال كل يوم سبع مرات: فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته).

- **ودعاء قبيصة رضي الله عنه عن النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ أنه قال له:**

(قل ثلاث مرات: سبحان اله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله).

- **ودعاء الخضر عليه السلام:**

(بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله، كل نعمة من الله، ما شاء الله، الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، فمن قالها ثلاثا إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرقة).

• ودعاء معروف الكرخي:

(حسبي الله لديني، حسبي الله لدنياي، حسبي الله الكريم لما أهمني، حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي، حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت، حسبي الله الرءوف عند المسألة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القدير عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم).

والدعوات والاستعاذات المأثورة كثيرة فعليك بما صح وأحسن النية مع رعي آداب الدعاء، وهي عشرة: الأول ترصد الأوقات الشريفة كوقت السحر، ويوم الجمعة، وفي رمضان، وعرفة، والثاني، اغتنام الأحوال الشريفة كحال زحف الصف في الجهاد، ونـــزول الغيث، وإقامة الصلاة، الثالث استقبال القبلة، الرابع الإقتصاد بين السر والجهر، الخامس عدم تكلف السجع، السادس لزوم التضرع والخشوع، السابع الجزم بدعائه فلا تردد مع صدق الرجاء، الثامن الإلحاح فيه، التاسع إفتتاحه بذكر الله والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- كأن يقول سبحانك ربي العلي الوهاب اعطني كذا ثم يختم بالصلاة أيضا، العاشر التوبة ورد المظالم والإقبال على الله بكنه الهمة فلذلك السبب القرب في الإجابة.

وأما الأوراد فاعلم أولا أن الناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد، والوطن الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر فسنينه مراحله وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رءوس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم، وخسرانه البعد من الله مع الأغلال والأنكال، والعذاب الأليم في دركات الجحيم، فالغافل عن نفس من أنفاسه حتى انقضى في غير طاعة الله متعرض لقبر وحسرة مالها منتهى. فعلى العاقل مراقبة الأوقات

بالأوراد على سبيل الدوام لكن الناس ستة أقسام: عابد، وعالم، ومتعلم، ووال، ومحترق، ومستغرق بالله فتختلف أورادهم بإختلاف أحوالهم. وأما العابد وهو الذي لا شغل له إلا العبادة ولو تركها لجلس باطلا فترتب أوراده على سبعة بالنهار، ثم يشتغل بالأربع وبعيادة المرضى وتشييع الجنائز، والمعاونة على البر والتقوى وحضور مجلس العلم وصلاة التطوع ما استطاع، الورد الثالث من الضحوة إلى الزوال فيشتغل بالأربع مع تدبير معاشه بكسب وحضور سوق وصنعة ولا ينسى ذكر الله في ذلك، الورد الرابع من الزوال إلى الفراغ من الظهر وراتبته يتوضأ ويحضر المسجد ويستمع الأذان يحكيه ويحيي ما بين الأذان والإقامة فيصلي أربعا قبل الظهر ثم يصلي الظهر في جماعتة ثم ركعتين بعدها، الورد الخامس ما بعد ذلك إلى العصر يستحب فيه العكوف في المسجد مع الذكر والصلاة إن لم يكن بيته أسلم لدينه، الورد السادس إذا دخل وقت العصر إلى الإصفرار فيصلي أربعا ثم يصلي الفرض ثم يشتغل بالأربع والأفضل التلاوة، الورد السابع من الإصفرار إلى الغروب، فورده كالأول ويتأكد الاستغفار بأن يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة، سبحان الله العظيم إلى أن يسمع أذان المغرب فيحاسب نفسه بـــما مضى في النهار إذ قد انقضى من سيره مرحلة فيشكر الله على ما وفق ويعزم على تلافي ما فرط ثم يتوجه إلى أوراد الليل وهي خمسة: الأول من صلاة المغرب إلى العشاء، فيحيي ما بينهما بالصلاة، الثاني من العشاء إلى نوم الناس فيصلي بعد العشاء ثلاث عشرة ركعة آخرها الوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام وإلا فالتأخير أفضل، الثالث النوم نفسه إن نوى القيام للعبادة ونام على طهارة تائبا مستقبلا مكتوبا عنده وصيته من غير تنعم بفراش ولا تكلف قائلا اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك أرفعه متذكرا للموت ذاكرا لله عند تيقظاته وتقلباته، الرابع من مضي نصف الليل إلى سدسه فإن قام فيه فعل ما تقدم في أول الأوراد ويصلي ما قدر له ثم ينام كما قدمنا، الخامس من سدسه إلى الفجر إن قام فيه يكثر الاستغفار إلى الفجر. فهذه أوراد العابد.

أما العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى وتدريس أو تصنيف، فيحتاج إلى مطالعة وتصنيف فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو الأفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها لكن ينبغي أن يحضر بعد الصبح بالأذكار وبعد الطلوع بالتعليم وبعد ضحوة النهار بالتصنيف والمطالعة، وبعد العصر بسماع ما يقرأ عليه، وبين يديه من تفسير وحديث أو علم نافع وبعد الإصفرار بالاستغفار والستبيح إلى الغروب، وأما الليل فثلثه الأول للمطالعة والوسط للصلاة، ثم النوم، والأخير للاستغفار.

وأما المتعلم فالاشتغال بالتعلم أفضل له من الأذكار والنوافل، لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالدرس والنسخ بدل التصنيف والمطالعة فإن كان من العوام فحضوره مجالس العلم والذكر أفضل له من الأوراد التي ذكرناها.

وأما المحترق لعياله فليس له أن يضيعهم ويستغرق الأوقات بالعبادات بل يشتغل بصناعته وكسبه لكن مع المواظبة على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن، فلا ينسى الله حينئذ فإذا فرغ من كفايته رجع إلى الأوراد ويداوم على الكسب ويتصدق بـــما فضل عن حاجته وهو أفضل من سائر الأوراد التي ذكرناها.

وأما الوالي كالإمام والقاضي وكل ما تولى للنظر في أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة وأوراد الليل ما استطاع، وقد علمت مما ذكرنا أنه يقدم الأول من طلوع الصبح إلى طلوع الشمس فإذا انتبه ذكر الله بقوله الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيى وبك نـــموت وإليك المصير، اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نخترج فيه سوءا أو نـــجره إلى مسلم، ثم يقرأ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ العشر الآيات آخر سورة آل عمران ثم يلبس ثوبه ينوي به ستر عورته ثم يخرج إلى الخلاء إن احتيج ثم يستاك ويتوضأ مراعيا لجميع السنن في ذلك فإذا فرغ صلى ركعتين الصبح ثم يخرج إلى المسجد ويقول اللهم

اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا ومن خلفي نورا، ومن أمامي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا، اللهم إني خرجت إلى المسجد اتقاء سخطك وابتغاء رحمتك فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي بسم الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإذا وصل إلى المسجد يقول حين الدخول اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك يقدم اليمنى في الدخول ويصل إلى الصف الأول إن لم يتحط الرقاب ويصلي ركعتي التحية، وينتظر الجماعة ثم يصلي الفريضة بالآداب المتقدمة، فإذا فرغ قعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله بأذكار وأدعية وقراءة قرآن وتفكر فيما ينفعه بأن يحاسب نفسه فيما سبق ويدبر وظائف يومه الذي بين يديه وفي دفع العوائق عن الخير ويتفكر في نعم الله الظاهرة والباطنة ليحمده. فهذه الأربع أي الذكر، والدعاء، والقراءة، والفكر هي وظيفة في كل ورد بعد الفراغ من الصلاة، والورد الثاني من طلوع الشمس إلى ضحوة النهار يلصي الضحى ... (**هنا سقط كلام**) .

والله الموفق.

وأما المعاشرة فلا ينبغي لك أن تعاشر وتـــخالل إلا من فيه خمس خصال أن يكون عاقلا حسن الخلق، غير فاسق، ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا. وينبغي أن تراعي له حقوق الأخوة والمحبة وهي ثمانية: الأول، حق في المال، بأن تواسى به أخاك بـــما فضل عن ضروروتك من غير ان تـــحوجه إلى السؤال، الثاني إعانته بالنفس في قضاء الحاجات قبل السؤال، وتقديـــمهما على الحاجات الخاصة، الثالث، السكوت عن عيوبه في حضرته وغيبته، الرابع، النطق بـــما يسره وإظهار السرور بـــما سره به، الخامس، العفو عن الزلات فيما كان من حقه، وما كان حقا لله فيلاطفه بـــما يعيده إلى الصلاح ومهما اعتذر صادقا أو كاذبا قبل، السادس الدعاء له في حياته وبعد موته، السابع، الوفاء والإخلاص، ومعنى الوفاء الثبات على الصداقة إلى الموت، وبعده مع أولاده وأصدقائه وأن لا يتغير له في التواصل

لإرتفاع شأنه بالولاية والجاه. الثامن: التخفيف وترك التكليف، والتكلف بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه من التواضع له والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته إلا لله، قال علي رضي الله عنه شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراته، وألجاك إلى الإعتذار، فالناس ثلاثة من تنتفع به بلا مضرة، ومن تنفعه أنت ولا يضرك، فواخا هما، ومن لا تقدر نفعه وتتضرر به وهو الأحمق، والسيء الخلق فاجتنبه. فهذه حقوق الأخوة والمحبة.

وأما حقوق المسلم مطلقا فأن تسلم عليه إذا لقيته، وتشميته إذا عطس، وتعوده إلى مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمه إذا قسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه إذا غاب، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، وإن كان جارا فتتأكد هذه فيه في زيادة أن لا تستطيل عليه في البناء إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فاهد له، فإن لم تفعل فأدخلها دارك سرا ولا يخرج ولدك بها ليغيظ ولده ولا تؤذه بغتار قدرك إلا أن تغرف له منها، وأن لا تطلع على عوراته، ولا تضايقه في المرافق، كمصب التراب وموضع الكنيف ومربط الدواب، وأن تغض بصرك عن حرمه. وإن كان من الأقارب وذوي الرحم كانت الحقوق فيه آكد قال عليه السلام: (**أفضل الناس أتقاهم لله وأوصلهم لرحمه**)، وأمر عمر ابن الخطاب الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا خوفا من التزاحم على الحقوق فيورث قطيعة الرحم.

وحقوق الوالدين والأولاد آكد، قال عليه السلام: (**لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه ويعتقه**)، وقال: (**بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم إدناك أدناك**)، وقال: (**رحم الله والدا أعان ولده على بره**)، أي لم يحمله على العقوق بسوء عمله. حق الولد أن يؤدب ويعلم ويزوج إن بلغ ثم يقول له الأب أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة.

وأما حقوق المملوك فهو آخر ما أوصى به عليه السلام بقوله: (**اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله**)، وقال: (**لا**

يدخل الجنة سيء المملكة)، أعاننا الله على إتباع ما قال صلى الله عليه وسلم. وكل هذه حقوق الإخوان في الحضر.

أما الحقوق في السفر وآدابه فالبدأ برد المظالم قبل السفر، وقضاء الديون، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته، ورد الودائع، واختيار الرفيق، وتوديع الأهل والأصدقاء، والخروج بكرة وأن ينـــزل حتى يحمي النهار ولا يـــمشي منفردا، وأن يرفق الدابة في الحمل والضرب بأن لا يضرب وجهها ويكتفي في الضرب على قدر الضرورة، وتعجيل الأوبة إذا قضى وطره، والدخول ضحى مع استصحاب هدية السرور، والله الموفق.

وأما العزلة عن الناس ففيها فوائد وغوائل، ففوائدها الفراغ للعبادة والتخلص عن المعاصي التي يتعرض الإنسان غالبا بالمخالطة وهي الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخلاص من الفتن والخصومات ومن شر الناس وقطع طمعهم عنك وطمعك عنهم، والخلاص من مشاهدة الحمقى ومقاسات أخلاقهم. وغوائلها فوات فوائد المخالطة هي التعلم والتعليم والنفع والإنتفاع، والتأديب والتأدب والاستيناس والإيناس ونيل الثواب وإنالته واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال ولذا كان العزلة قبل التعلم غابة الخسران وصاحبها ضحكة الشيطان ولا خير في عزلة العوالم والجهال الذين لا يعرفون ما يلزمهم في العزلة فلا تليق العزلة إلا للعالم والله المستعان.

أما الحسنة التي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فدرجاته تسع: التعرف، ثم التعريف، ثم النهي بالوعظ والنصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب، ثم شهر السلاح، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود. وآداب المحتسب مرجعها إلى العلم والورع وحسن الخلق والله الموفق للصواب.

لم تنتقم من هذا فهو عجز منك ومهانة في أعين الناس فيخالفه لئلا يصغر عند الله والملائكة والنبيين، فإذا كان قائما فليقعد أو قاعدا فليضطجع، وليتوضأ أو يغتسل.

ومنها: الحقد وهو إضمار العداوة فهو نتيجة الغضب ينتج الحسد والشماتة والهجران والاستصغار والكذب والغيبة والاستهزاء والإيذاء، ومنع الحقوق. وعلاجه بتكلف استيفاء الحقوق وزيادة العفو والإحسان والرفق حتى يذهب.

ومنها: الحسد وهو فرع الحقد، وفروعه لا تحصى وهو كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه، وأسبابه العداوة والتعزز والكبر والعجب والخوف من فوات المقاصد وحب الرياسة، وبخلها فيكره النعمة على غيره لئلا يتكبر عليه بالنعمة وهو لا يحتمل له كبره لعزة نفسه عليه وهو المراد بالتعزز أو يخاف أن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه ولذا تأكد بين الأمثال والأقران والإخوة والأقارب لتوقى أسبابه بينهم، إذ يتواردون على الأغراض، فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض نفر عنه وأبغضه وثبت الحسد في قلبه فيريد تحقيره والتكبر عليه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه.

ودواء الحسد أن تعرف أنه ضرر عليك في الدين والدنيا وأنه لا يضر المحسود في دنياه ولا في دينه، ينتفع به فيهما ومهما غرفت هذا فارقت الحسد وتكلفت في المحسود نقيض ما يقتضيه الحسد من مدحه والتواضع له والاعتذار إليه فلا بد أن يطيب قلبه ويتولد منه الموافقة التي تقطع الحسد، وإياك وقول الشيطان إن تواضعت له حملك على العجز أو النفاق أو الخوف وذلك مذلة ومهانة؛ فهو كذب من الشيطان بل المجاملة تكسر العداوة من الجانبين وترد القلب إلى التآلف فتستريح من ألم الحسد وغم التباغض. فهذه أدوية الحسد وهي نافعة جدا إلا أنها مرة يسّر الله لنا الشفاء بمنّه وكرمه.

ومنها: الاشتغال بالدنيا وهي كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة في الآخرة كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات. ودواؤه تذكر سرعة زوالها والتحسر الدائم عليها.

فصل

في رياضة القلب

واعلم أن شرف الإنسان على سائر الحيوانات إنـــما هو بالمعرفة بالله ولا تكون إلا بالقلب، فالقلب هو العالم بالله المتقرب إليه المكاشف بـــما عنده إذا أسلم من غير الله وهو المحجوب عن الله، إذا استغرق بغير الله والجوارح له أتباع وخدم وآلات وهو لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بالقلب الجمساني، لكن حقيقته لا تدرك إلا بالعلم المكاشفة وتلك اللطيفة هي الروح وهي العقل أيضا وقيل العقل هو العلم الذي حل في القلب وهي النفس أيضا بمعنى أنـــها نفس الإنسان أي حقيقته، لكن النفس التي تجري في عرق أهل التصوف هو صفة الغضب والشهوة فمرادهم بالنفس الأصل الجامع الصفات المذمومة فلذا يقولون لا بد من مجاهدة النفس وإلى القلب يقصد الملك والشيطان وما يأتي به الملك إليه يسمى وحيا إن كان صاحب القلب يشاهد هذا الملك وهو خاص بالأنبياء، وإن كان لا يشاهد الملقي فيسمى إلهاما إن كان من غير استدلال وهو الذي للأولياء. وأما بالاستدلال هو الذي للعلماء وما للشيطان يسمى وسوسة، ولا يكون إلا شرا و دواؤه الاستعاذة وذكر الله بالقلب واللسان.

ومداخل الشيطان إلى القلب بالوسوسة كثيرة منها الغضب والشهوة والحسد والحرص على التزين بالثياب والدور والأثاث والطمع في الناس والمال والبخل والحقد وسوء الظن بالمسلمين وغير ذلك، ورياضة النفس لا يحصل إجمالا إلا بتحصيل حسن الخلق وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه الثلاثة، فبقوة العلم يفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فإذا حصلت الحكمة أي الدين والعقل فإذا دخلت الشهوة والغضب تحت الحكمة حسن الخلق واعتدال الغضب يسمى شجاعة، وزيادته تهورا، ونقصانه جنبا وخورا، واعتدال الشهوة عفة، والزيادة شره، والنقصان جمود، واعتدال العلم حكمة، والإفراط خبث ومكر، والتفريط بله، فأمهات الأخلاق أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل. فمن اعتدال

هذه الأصول يحسن الخلق وبضده يسوء، ومن أراد أن يعلم هل حسن خلقه أم لا فليزن نفسه بهذه الآيات وهي: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى ﴿ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾، وقوله: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾، إلى ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾، إلى قوله: ﴿ حَقًّا ﴾، وقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾، إلى آخر السورة. فوجود هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقدها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقد وحفظ ما وجد.

وبعد تحصل حسن الخلق يجتهد في إزالة الحجب بينه وبين الله وهي حجاب المال حتى لا يبقى منه إلا قدر الضرورة، وحجاب الجاه بالبعد عن مواضع الجاه وإيثار الخمول، وحجاب التقليد بترك التعصد للمذاهب، وحجاب المعصية بالتوبة والخروج من المظالم والعزم على عدم العود والندم على ما مضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم. فإذا أزال الحجب صار كمن تطهر وصلح للصلاة فيطلب من يقتدي به يعتصم به. ومعتصم المريد شيخه العارف بعيوبه ومكائد الشيطان له فيتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، فيجب على الشيخ أن يدخله الحصن الحصين ليتمكن محاربة الشيطان والنفس. والحصن هو الخلوة والصمت والجوع والسهر بقيام الليل والأوراد. ثم يشتغل بقطع العقبات بتحلية الباطن وتحليته وهو الذي تبين بعد هذا وهو الرياضة تفصيلا إلى أن يصل إلى ربه، والله الموفق.

فصل

في تطهير القلب من الصفات المهلكات

فمنها: شهوة البطن تقيم شهوة الفرج ثم يؤديان إلى طلب المال والجاه، فيفضي إلى الرياء والتفاخر والكبر والحسد والحقد والعداوة، وغير ذلك. ودواؤها الجوع بالتدريج فمن اعتاد أكل رغيفين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف ينقص كل يوم جزءا من ثلاثين حتى يرجع إلى رغيف في شهر ولا يستضر به، ولا يظهر أثره فيترك كل يوم لقمة حتى يرجع إلى قدر القوام بشرط أن يكون حلالا.

ومنها: آفات اللسان وهي الكلام فيما لا يعني والفضول وهي تناول الخوض فيما لا يعني والزيادة، فمن يتأدى مقصوده بكلمة فذكر كلمتين فالثانية فضول. والخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية تنعم الأغنياء وتـــمكن الملوك وأحوال النساء والفساق، فالكل من الخوض والمراء والجدال بالباطل وتكلف الفصاحة في المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات ولا باعث عليه إلا الرياء، وإظهار الفصاحة والفحش والسب وبذاذ اللسان واللعن لحيوان أو جماد.

والغناء وهو الصوت المطرب بآلة أم لا فما كان بغير آلة فمكروه إن خلا عن المنكر، وما كان بآلة فحرام على مشهور المذاهب الأربعة. وأما الشعر فكلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح، وتكثير المزاح والسخرية والاستهزاء وإفشاء السر والوعد الكاذب والكذب في القول واليمين والغيبة، وهي أعظم آفات اللسان وهي أن تذكر أخاك بـــما يكرهه لو بلغه، والنميمة وهي الإخبار بـــما يكره كشفه وكلها يجب التوبة عنها.

ومنها: الغضب بالباطل وأسبابه الكبر والعجب والمزاح والتعيير والممارات والمضارة وشدة الحرص على حصول المال والجاه. وعلاجه تذكر فضل كظم الغيظ فيرغب في ثوابه وخوف عقاب الله وعواقب الغضب في الدنيا وقبح صورة الغضبان وأنه من قول الشيطان إن

لم تنتقم من هذا فهو عجز منك ومهانة في أعين الناس فيخالفه لئلا يصغر عند الله والملائكة والنبيين، فإذا كان قائما فليقعد أو قاعدا فليضطجع، وليتوضأ أو يغتسل.

ومنها: الحقد وهو إضمار العداوة فهو نتيجة الغضب ينتج الحسد والشماتة والهجران والاستصغار والكذب والغيبة والاستهزاء والإيذاء، ومنع الحقوق. وعلاجه بتكلف استيفاء الحقوق وزيادة العفو والإحسان والرفق حتى يذهب.

ومنها: الحسد وهو فرع الحقد، وفروعه لا تحصى وهو كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه، وأسبابه العداوة والتعزز والكبر والعجب والخوف من فوات المقاصد وحب الرياسة، وبخلها فيكره النعمة على غيره لئلا يتكبر عليه بالنعمة وهو لا يحتمل له كبره لعزة نفسه عليه وهو المراد بالتعزز أو يخاف أن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه ولذا تأكد بين الأمثال والأقران والإخوة والأقارب لتوقى أسبابه بينهم، إذ يتواردون على الأغراض، فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض نفر عنه وأبغضه وثبت الحسد في قلبه فيريد تحقيره والتكبر عليه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه.

ودواء الحسد أن تعرف أنه ضرر عليك في الدين والدنيا وأنه لا يضر المحسود في دنياه ولا في دينه، ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا فارقت الحسد وتكلفت في المحسود نقيض ما يقتضيه الحسد من مدحه والتواضع له والاعتذار إليه فلا بد أن يطيب قلبه ويتولد منه الموافقة التي تقطع الحسد، وإياك وقول الشيطان إن تواضعت له حملك على العجز أو النفاق أو الخوف وذلك مذلة ومهانة؛ فهو كذب من الشيطان بل المجاملة تكسر العداوة من الجانبين وترد القلب إلى التآلف فتستريح من ألم الحسد وغم التباغض. فهذه أدوية الحسد وهي نافعة جدا إلا أنها مرة يسّر الله لنا الشفاء بمنّه وكرمه.

ومنها: الاشتغال بالدنيا وهي كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة في الآخرة كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات. ودواؤه تذكر سرعة زوالها والتحسر الدائم عليها.

ومنها: البخل وحب المال وما تقدم عام والمال من أجزاء الدنيا. ومنها حب الجاه والرياء ومنشأه حب الحب وأصل الجاه انتشار الصيت واشتهاره، وحبه مذموم إلا من شهره الله بنشر دينه من غير طلب الشهرة منه. وعلاجه أن تعلم أن السبب الذي لأجله تحب الجاه وهو كمال القدرة على قلوب الناس إن صفا وسلم فبآخره الموت وليس الباقيات فلو سجد لك كل من على الأرض فعن قريب يصير الساجد والمسجود له في الأموات مع ما تعرضت له من الأخطار إذ كل ذي جاه محسود مقصود بالإيذاء خائف على جاهه وتغير منزلته في القلوب فإذا علمت هذا وتكلفت الأعمال التي لا تلائم الجاه فارقك ضرره. وأما الرياء وهو طلب الجاه بالعبادات فحرام إجماعا يكون بالبدن كإظهار النحول ليوهم به شدة الإجتهاد وكذا خفض الصوت ونحوه، وبالزي كغلظ الثياب وتشميرها وإطراق الرأس وإبقاء أثر السجود على الوجه ليرى أنه من الصالحين، وبالقول كالوعظ ونطق الحكم وتحريك الشفتين، وبالذكر في محضر الناس وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لطلب الجاه في القلوب، وبالعمل كتطويل القيام والسجود والركوع في الصلاة وإظهار الهدوء والسكوت ولزوم الصوم والغزو والصدقة وإطعام الطعام لأجل الجاه، وبالأصحاب والزائرين كمن يتكلف أن يستزير عالما أو عابدا ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته، وينزلون إليه أو أمير المؤمنين وعامله ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين.

وأما الرياء في غير العبادات فلا يحرم إلا إذا حمل على حرام كالتلبيس كمن قضى دين جماعة وحيل للناس أنه تبرع عليهم وما لم يحمل على الحرام قد يكون مباحًا كما إذا حسن لهم نفسه حذرا من ذمهم، وقد يستحب إذا قصد بذلك تقويتهم على إتّباع دعوته إلى الدين، وقد يجب في بعض المواضع. ودواء الرياء قلع أصوله وعروقه وهي حب المدح والفرار من الذم والطمع لما في أيدي الناس.

ومنها: الكبر وهو رؤية نفسه فوق المتكبر عليه وأسبابه سبعة: التكبر بالعلم، وما أسرعه إلى العلماء، والتكبر بالعبادات وهو الغالب في العباد والزهاد، والتكبر بشرف النسب وذلك دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب غالبا وإن كان صالحا عاقلا لكن لا يترشح منه

عند اعتدال الأحوال فإذا غضب ترشخ منه، وغير الصالح يرى الناس الذين دونه كالموالي والعبيد، والتكبر بالجمال وغالبه في النساء، والتكبر بالمال، وغالبه بين الملوك في الخزائن وبين التجار في البضائع، وبين الأمراء في الأراضي وبين المتجملين في البأس والخيول والمراكب فيستحقر الغني الفقير ويقول من أنت لو أردت لأشتريت مثلك، وقد استخدمت من هو فوقك، وكل ذلك جهل بآفات الغنى، والتكبر بالقوة والبطش على أهل الضعف، والتكبر بالأتباع والأنصار والتلامذة والعشيرة والأقارب والأولاد، يجري ذلك في الملوك والعلماء وأمثالهم.

وعلامات الكبر حب قيام الناس بين يديه ومشيهم معه وعدم زيارة غيره وهو ضد التواضع والاستنكاف من جلوس غيره بالقرب منه وتوقي مجالسته المرضى والفقراء، وعدم حمل متاعه من السوق ونحوه إلى بيته، وكل ذلك خلاف السنة والتواضع.

ودواء الكبر أن تعلم ذل نفسك وعجزك وإن العز والقدرة لله، فتواضع بالفعل لله ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين. والتواضع هو العدل المحمود والإفراط تكبر، والتفريط مذلة وهما مذمومان، فمن تقدم على أمثاله فمتكبر، ومن تأخر عنهم فمتواضع، ومن تواضع للأدنيين كعالم يدخل عليه السوقي فيقوم له ويجلسه مجلسه فهو متذلل، ولو فعله لعالم فمتواضع. فينبغي إعطاء كل ذي حق حقه، فتواضع للسوقي البشر والرفق في الكلام وأن لا يرى نفسه خيرا منه.

ومنها: العجب وهو من أسباب الكبر وهو استعظام النعمة التي به، وهو الركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم. ودواؤه أن يعلم أن كل ما يريد أن يتعجب به ليس فعلا له بل فضل من الله يجب عليه شكره.

ومنها: الغرور قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾، والغرور نوع من الجهل وهو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع لأجل شبهة وخدعة من الشيطان فكل من اعتقد أنه خير لشبهة فمغرور، وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون

مغرورن على اختلاف درجاتهم، لكن غرورهم أظهر وأشد غرورا من الكفار اغتروا بزينة الدنيا فاختاروها على الآخرة لشبهة أنها معجلة والآخرة متأخرة والنقد أولى من النسيئة، ثم غرور العصاة من المؤمنين بقول الشيطان لمنيهم إن الله كريم يغفر لك فحس لهم الشيطان أن تـــمنيهم بتسميته رجاء ولم يعلموا أن الرجاء ما قارنه عمل وإلا فأمنية مذمومة، وأصناف المغترين أربعة: الأول من اغتر بالعلم كالعلماء الذين أحكموا العلوم الشرعية وأهملوا حفظ الجوارح عن المعاصي وإلزامها الطاعة فاغتروا بعلمهم فظنوا أنـــهم عند الله بـــمكان لا يعذب مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم، ولم يعلموا أن لا قيمة لعلم بلا عمل، ومنهم من عمل بالعلم ظاهرا لكن لم يتفطن لما في القلب من الكبر والحسد وحب الرياسة، وإرادة السوء لأقران، ومنهم من تفطن لذلك لكنهم لعجبهم يظنون أنـــهم انفكوا عنها، وأنـــهم أرفع عند الله أن يبتليهم بذلك وإنـــما يبلي به العوام فإذا ظهر عليهم علامات الكبر وحب الرياسة باستعمال الثياب الرفيعة والمجالس الحسنة قالوا ما هذا حب رياسة بل إنـــما نطلب بذلك عز الدين وإظهار شرف العلم وإرغام أنوف المخالفين فلو لم نفعل ذلك لكان ذلا على الإسلام ولفرح به أعداء الدين ولم يعلم المغرور أن الشيطان الذي هو عدوه يفرح بفعله ونسي أن الرسول الذي نصر الدين لم يراع ذلك، وكذا الصحابة وهم أنصار الدين حتى قال عمر بن الخطاب لمن أراد ما غر هذا المغرور إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره، ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرفيعة والمراكب النفيسة والمجالس وهيهات، وكذا مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه من رد عليه شيئا لم يظن أن ذلك حسد بل يقول إنـــما هذا غضب للحق ورد على المبطل حتى يظن أنه لو طعن في غيره أو منعه من رياسة كان غضبا لله، ولو جاءه مال من السلاطين الظلمة وخطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين، فيحل لك أن تأخذ منه قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس ولا ينظر إلى أن هذا السلطان يأخذ الخراج من المسلمين وهم أحياء أو ورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط في أموالهم فلا خلاف أنه

حرام ولا يعلم أن ما يفسد بذلك الأخذ في الدين لا يحصى فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشيطان لا إمام المسلمين.

ومنهم من اقتصروا على علوم الفتوى في الفتوى في الحكومات و لم يشتغلوا بإصلاح باطنهم. ومنهم من اشتغل بالوعظ يتكلمون في صفات القلب من الخوف والرجاء والشكر والتوكل والإخلاص والصدق فاغتروا أنـــهم لما صاروا يتكلمون للخلق بهذه الصفات فهم متصفون بها والله يعلم أنـــهم منفكون عنها. ومنهم من اشتغلوا بعلم لسان العرب وحقروا غيرهم بأنـــهم جهال لحانون. الثاني العباد وهم فرق: فمنهم من أهمل الفرائض واشتغل بالفضائل والنوافل يفر من النجاسات المحتملة في الماء والبدن والثوب وربـــما أكل الحرام المحض ولو انقلب إحتياطه من الماء إلى الحرام لكان أشبه بسير الصحابة. ومنهم من اغتر بالحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون ويتعرضون لضياع الصلاة وغيرها من الفرائض مع سقوط الحج عنهم.

ومنهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو حرقته لطلب الرسالة فإذا فعل منكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف أفعل ذلك ويأتي بالتأويل ويقول: أنا أعلم منك فهو مغرور. ومنهم من اغتر بمجاورة مكة والمدينة ونحو ذلك مع التلوث في الذنوب. ومنهم من زهد في المال واللباس والطعام ورضى بالدون ومع ذلك راغب في الرياسة والجاه فقد ترك أهون الأمرين وفتح أعظم المهلكين فأخذ المال أقرب إلى السلامة من الجاه. الثالث المتصوفة وما أغلب الغرور عليهم، فمنهم من اغتروا بزي الصوفية واصطلاحاتهم وأحوالهم الظاهرة في السماع والرقص أو إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وتنفس الصعداء وخفض الصوت فاغتروا بذلك من غير رياضات ومراقبات. ومنهم من يدع المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزرة المقامات ولا يعرفها إلا بالأسامي والألفاظ إلا أنه تلقف من ألفاظ الشيوخ كلمات يرددها ويدع أنـــها أعلا علم الأولين والآخرين ينظر إلى العلماء بعين الإزراء فضلا عن العوام حتى أن الفلاح يترك فلاحته والحائك حياكته فيلازمه أياما للبركة

ويوهمهم أنه يخبر عن الأسرار وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وأنواعهم لا تحصى والمقصود التحذير.

الرابع أرباب الأموال، فمنهم من اغتر ببناء المساجد بها والمدارس والرباطات ليخلد بذلك اسمه ويبقى بعد الموت أثره وقد اكتسبها من الحرام والشبهات وكان الواجب عليه التوبة وردها إلى أربابها إن أمكن وإلا فعلى الفقراء. ومنهم من اكتسبها من الحلال وأنفقها على ما مر رياء وحب ثناء. ومنهم من يعطي الأموال من يخدمهم من الفقراء ويتردد في حاجاتهم يكسونهم ويحملونهم لذلك وهم يظنون أنـــهم أطاعوا الله بذلك. ومنهم من اغتروا بحضور مجالس الوعظ وتخصيصهم بالصدقة ليعرفوهم واعتقدوا أن حضور مجلس الوعظ فقد ينجيهم فلا يفوتهم وعظ يظون أن لهم أجرا على سماع الوعظ دون العمل وهو غرور، والمغرورون لا يحصون، والله الموفق.

خاتمة فيما ينجو الإنسان به من الغرور

وهو ثلاثة أمور :

الأول: العقل أي النور الأصلي الغريزي الذي به تدرك حقائق الأشياء فالبليد لا يخرج من الغرور، فصفاء العقل لا بد منه.

الثاني: المعرفة بربه وبنفسه وبالدنيا والآخرة يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية والدنيا بالغوائل وسرعة الزوال فيتركها، والآخرة بالدوام فيطلبها.

الثالث: العلم بكيفية سلوك الطريق وعقباته وغوائله فيعرف من العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها كما تقدم. ومن العادات آداب الشرع فيها ومن المهلكات كيفية الخروج منها، ومن المنجيات كيفية نيلها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الغرور بعون الله وتوفيقه، والله المستعان.

فصل

في تحلية القلب بالصفات المنجيات

ومنها التوبة من الذنوب التي بين العبد وربه كترك الصلاة والصوم والزكاة والكفارات فيقضي ما أمكنه منها وكأكل الربا وضرب المزامير فيندم عليها وينوي ألا يعود، والتي بينه وبين العباد إما في الدين أو في النفس أو في المال أو في العرض والحرمة فيستحل ما أمكن وما لم يـــمكن رجع فيه إلى الله ليرضيه عنه يوم القيامة.

ومنها إخلاص النية في جميع ما يعمل، والإخلاص فيه والصدق في العبودية. ومنها الزهد عن الدنيا بفراغ القلب عن طلب المال والجاه ويكون بترك طلب المفقود وتفريق المجموع غير الضروري. ومنها التوكل على الله في جميع أموره وأحرى في أمر الرزق.
ومنها تفويض الأمر إلى الله في حفظ مصلحته ما لا يأمن فيه الخطر. ومنها الرضى بقضاء الله بترك السخط في كل مصيبة ومن يؤمن بالله يهد قلبه والمحبة لله وفي الله والشوق إلى لقاء الله والصبر على بلائه والشكر لنعمه والخوف من عذابه والرجاء من رحمته ومراقبته في الأنفاس واللحظات ومحاسبة النفس والتفكر وذكر الموت وغير ذلك من الصفات المحمودة، وفقنا الله للعمل بها.

خاتمة فيما ينال به الفضل عند الله

واعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر، وما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة أشياء: الأول علم مع عمل وهو علم طريق الآخرة الذي قدمنا. والثاني عمل فقط كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس. والثالث علم مجرد وهو علم المكاشفة الذي هو القسم الثاني من قسمي العلم وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره من الصفات المذمومة وتـــحليته بالمحمودة فينكشف من ذلك النور أمور كانت تسمع من قبل أسماءها أو يتوهم لها معان مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تـــحصل المعرفة الحقيقة بذات الله وصفاته وأفعاله وحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه

للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشيطان وكيفية معادات الشيطان للإنسان وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بـــملكوت السماوات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشيطان، ومعرفة بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، ومعنى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، ومعنى لقاء الله والنظر إلى وجهه الكريم، ومعنى القرب منه والنـــزول في جواره، ومعنى حصول السعادة ومرافقة الملإ الأعلى ومقاربة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنة إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات، ونعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الحجاب حتى يتضح جلية الحق في هذه الأمور إتضاحا يجري مجري العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا لأن القلب مستعد لأن ينجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، وإنـــما حيل بينه وبينها بالحجاب المرسل بينه وبين اللوح المحفوظ الذي نقش فيه جميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتـــجلي حقائق العلوم في مراءات اللوح يضاهي انطباع صورته في مرآت تقابلها والحجاب يزال بين المرءاتين تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتـــمام الإرتفاع بالموت فيه يكشف الغطاء ويكون تارة في اليقظة بلطف من الله فيرفع الحجاب بين القلب واللوح المحفوظ فيرى الأشياء فيه ويتفجر العلم فيه منه فيستغني عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض، فللقلب بابان باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسك بعالم الملك والشهادة، فانفتاح القلب إلى اقتباس من الحواس لا يخفى عليك، وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت مطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه من علم عجائب الرؤيا ويفتح الله لمن انفرد بذكر الله بفضل الله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، رزقنا الله تعالى علم أوليائه بـــمنه وكرمه.

وهذا آخر ما أردنا جمعه من ضياء علوم الدين، وكان الفراغ من كتبه يوم السبت لثلاثة بقي من شوال سنة جد شكرا، وهي ثمان وعشرون ومائتان بعد ألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اللهم اغفر أمة محمد بجاهه عندك وارحم أمة محمد رحمة عامة آمين. تم على يد عبيد الله مفتقرا إلى رحمة الله وغفرانه، الحمد لله.

(سقط كلام هنا)

على العبادات البدنية أمران العلم والرفق بالمسلمين. وأما المستغرق في حب الله الذي لا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره فلا يفتقر إلى كثيرة الأوراد بل ورده بعد المكتوبة حضور القلب مع الله في كل حال والله يؤتي فضله من يشاء والله واسع عليم.

خاتمة في أسباب تيسر الطاعة

وهي تقليل الطعام وتقليل التعب في أعمال الدنيا واجتناب الأوزار وسلامة القلب من حقد كل مسلم ومن بدع وفضول هموم الدنيا والتزاع خوف الآخرة والرغبة في نعيمها، وحب الله وقوة الإيـــمان والله المستعان.

فصل

في الجهاد وأسراره

وهو قتال مسلم كافر مسلم كافرا غير ذا عهد لإعلاء كلمة الله أو حضوره لذلك، ودخول أرض الكفار لذلك فمن قاتل للغنيمة أو الجاه ليس مجاهدا ولا يحل له الغنيمة، والجهاد فرض كفاية على كل حر ذكر مكلف قادر، ويتعين بفجأة العدو على المسلمين حتى يندفع، وبتعيين الإمام بلا مانع، وفرائضه النية وطاعة الإمام وترك الغلول والوفاء بالأمان والثبات عند الزحف وتجنب الفساد، ويجب قتال المرتدين والبغاة والمحاربين وعلى الإمام حفظ الثغور بالرباط وهو الإقامة في الموضع الذي يخاف فيه من الكفار لقربه من بلادهم وفيه ثواب كثير حتى قيل إنه أفضل من الجهاد.

خاتمة

ينبغي الاشتغال بمسابقة الخيل وغورها ومناضلة السهام ونحوها تمرينا على الجهاد، وكذا المسابقة بالإقدام والحجارة والمصارعة إذا قصد بذلك الإعانة على الجهاد لا للمبالغة كفعل الفساق، والله المستعان.

فصل

في آداب العادات وأسرارها

وهي الأكل والشرب، والنكاح والكسب والمعاشرة حضرا وسفرا والعزلة والحسبة. فأما الأكل والشرب فالآداب فيهما نية التقوى على الدين من حلال طيب على السنة والورع بالرضى بـــما وجد وتكثير الأيدي، ولو من أهله وولده، والبدأ باسم الله والختم بالحمد جهرا والأكل باليمين وتقصير اللقمة وتـــجويد المضغ وعدم ذم المأكول والأكل مما يليه ولفظ ما سقط وأكله ولعق الأصابع وعدم نفخ الطعام الحار، ومص الماء لا العب، والإمساك قبل الشبع ولعق القصعة، وشكر الله بقلبه، ولسانه بعد الأكل، وأن لا يأكل أزيد على ما يأكل رفيقه، وأن يصب الماء في غسل اليدين وأن لا يدخل للطعام الذي لم يدع إليه وترك التكلف للزائر، وإحضار ما حضر ومن التكلف طلب إطعام أخيك مالا تأكله أنت لأن التكلف يؤدي إلى التقاطع إذ يستحي الزائر من الرجوع وكانت الصحابة يجتمعون على الطعام ويقولون هو من مكارم الأخلاق.

وأما النكاح فمعين على الدين وسنة سيد المسرلين، فقد جاء الترغيب فيه باعتبار فوائده والتحذير باعتبار آفاته، وفوائده خمس: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنـــزل، وتكثير العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن. وآفاته ثلاثة: الأولى، تسبيب العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعاش فيكون النكاح سببا للدخول في الحرام وإطعامه ولا يخلص من هذه الآفة غالبا إلا من له مال موروث حلال أو كسب من حلال يكفيه وأهله إن كان له قناعة أو محترف باصطياد واحتطاب ونـــحو ذلك من المباح أو ذو صنعة لا تتعلق بالسلاطين يقدر على معاملة أهل الخير بها، ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال، والثانية القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على أخلاقهن، روى أن الهارب من عياله كالآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم، ومن قصر عن القيام بحقوقهن وإن كان حاضرا فهو هارب، والثالثة الشغل

بذلك عن الله وأركانه رضى الزوجين والولي وحضور شاهدي عدل بإيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح ونـــحوه بكل لسان من مكلف ليس بإمرأة. وآدابه الخطبة بالحمد والصلاة قبل الإنكاح وتـــخفيف الصداق وإحضار أهل الصلاح ونية السنة، وفي المسجد وفي شوال، وأن تكون ذات دين وخلق حسن وولاية وبكارة ونسب وجمال وصلاح، وهذه هي التي تكون عونا على الدين وإلا كانت شاغلة عن الدين، ويجب على الولي أن يراعي لوليته أين يضعها فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها، أو من لا يكافيها في نسبها، قال عليه السلام: (**النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريـــمته**)، والاحتياط في حقها أمهم لأنـــها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق، من زوج إبنته ظالما أو فاسقا فقد تعرض لسخط الله بـــما قطع من حق الرحم وسوء الإختيار وعلى الزوج الوليمة واحتمال الأذى، والمزاح والمداعبة التي تطيب القلوب لكن ينبسط في اتباع هواها إلى أن يسقط هيبته عندها بالكلية بل يراعي الإعتدال في ذلك فمهما أرادت ما يخالف الشرع أو المروة تنمر، وعليه الإعتدال في النفقة من غير إقتار ولا إسراف والإعتدال في الغيرة بأن لا يسيء الظن في مبادئ الأمور من غير ريبة. وأما محل الريبة فلا بد منها والطريق المغني عن الغيرة لا يدخل عليها الرجال ولا تخرج حيث تراهم إذ لا يجوز خروجها إلا لضرورة دينية أو دنيوية وعليه أن يعلمها ما تـــحتاج إليه من الدين فلا يجوز لها الخروج إلى سؤال العلماء إن كان يكفيها بالتعليم أو بالسؤال لها فلا تخرج حينئذ إلى مجلس وعظ ولا علم وإذا كان له نسوة فعليه العدل بينهن في قسم المبيت لا في الحب والجماع فلا يدخل تحت إختياره وعليه تأديب من نشزت وإن اضطر إلى الطلاق وفليكن في طهر لم يـــمس فيه طلقة واحدة ويتمتعها، ولا يفش سرها، وعلى الزوجة طاعته في أمر الدنيا والدين في كل حال مما لا معصية فيه لأنـــها كرفيقة له قال عليه السلام: (**خير نسائكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله**).

وأما الكسب فيراعي فيه الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين، فالصحة في البيع أن يكون بـــما يدل على الرضى من عاقد عاقل رشيد مختار وأن يكون المعقود عليه طاهرا

منتفعا به مقدورا على تسليمه معلوم العين والقدر والوصف لم يرد نهي الشرع عن بيعه خالصا عن الربا، وفي السلم تسليم رأس المال مع تعريف أوصاف المسلم فيه معلوم الأجل ليسا طعامين ولا نقدين، وفي الإجارة كالبيع والعدل وعدم كتم العيوب وعدم الإحتكار ونحو ذلك، وفي الإحسان أن لا يغبن صاحبه إن تمكن ويحتمل هو الغبن ويكون سمحا في البيع والشراء والإقتضاء ويستوفي الثمن بلا تأخير والشفقة على الدين تحسين النية في كسبه وإلا يمنعه عن الصلاة في المسجد وأن يتقي مواضع الحرام والشبهة ولا يتبع الفتاوى المبيحة لما منع غيرها ويبحث في محل البحث مواضع الريب في المال أو صاحبه لا غيرها ويخرج عن المظالم بأن يميزها من ماله ويعطيها أهلها إن علمها وعلمهم وإلا ميز قدر الحرام فيتصدق به عن صاحبه وإن أشكل عليه أخذ باليقين أو غالب الظن ويحترز عن عطايا السلاطين الظلمة وإن جازت في ظاهرها، ويحترز عن مظان الرشوة كلها. واعلم أن العابد والعالم والغارق في التوحيد والسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إقبالهم على ما هم فيه أفضل من الاشتغال بالكسب إن كانت كفايتهم من بيت المال أو زكاة أو صدقة من غير سؤال، وأما من يحوجه ترك الكسب إلى السؤال فلينظر في الأصلح له في دينه ودنياه.

فهرس

فصل: في معاني التي تضمنتها كلمتا الشهادة جملة ١٧٩

خاتـــمة ١٨٠

فصل: في الطهارة وأسرارها ومراتبها..... ١٨١

خاتـــمة ١٨٣

فصل: في الصلاة وأسرارها..... ١٨٤

خاتمة فيما تتم به حياة الصلاة ١٧٩

فصل: في الزكاة وأسرارها ١٨٦

فصل: في الصوم وأسراره ١٨٨

فصل: في الحج والعمرة وأسرارهما ١٨٨

خاتـــمة ١٩٢

فصل: في قراءة القرآن وفي الأذكار والدعوات وفي الأوراد وأسرار ذلك ١٩٣

خاتـــمة في ثـــمرات حسن الخلق ومعنى الحب في الله ٢٠٢

فصل: في رياضة القلب ٢٠٣

فصل: في تطهير القلب من الصفات المهلكات ٢٠٥

خاتـــمة فيما ينجو الإنسان به من الغرور: ٢١١

فصل: في تـــحلية القلب بالصفات المنجيات ٢١٢

خاتـــمة فيما ينال به الفضل عند الله ٢١٢

خاتـــمة في أسباب تيسر الطاعة..... ٢١٤

فصل: في الجهاد وأسراره ٢١٥

خاتـــمة ٢١٥

فصل: في آداب العادات وأسرارها..... ٢١٦